تقنية العدول اللغوي في ديوان الإمام الشافعي

د.سلام عبد الله محمود عاشور*

تأريخ التقديم:٢٠١٢/١٠/٩ تأريخ القبول:٢٠١٢/١١/٧

مقدمة:

الإمام الشافعي غني عن التعريف قل من لا يعرفه أو سمع عنه؛ لذا فإنَّ من فضل القول التعريف به فيقال: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي- رحمه الله – صاحب أحد المذاهب المشهورة في العالم الإسلامي الكبير له عدة تصانيف وما يهم البحث ديوانه الذي يتمثل فيه "الاستيعاب الكامل لتعاليم الإسلام والتعبير الصادق لمفاهيمه من دعوة إلى الأخلاق والقيم السامية والبعد عن الهوى والشهوات ومحاربة النفس" (١) وقد عبر الشافعي عنها أصدق تعبير، كما يتسم شعره "بسهولة اللفظ وعذوبته مع رقي الفكر وعمق المعنى... ويرتكز الشافعي في شعره على نسج معاني الحكمة والزهد والتعبير عن تجارب الذاتية والتجارب العامة..." (٢)؛ لذا تجد ديوانه عبارة عن مقطوعات شعرية، ولا يتمتع بقصائد طويلة كثيرة كغيره من الشعراء، فلا يقف على أطلال أو غيره مما يقف الشعراء ويستوقفوا عندها.

والعدول باب واسع في اللغة العربية، والمتتبع لقواعد اللغة العربية يجد أنَّ العرب تصرفت تصرفا كبيراً في أداء اللغة وفي جميع حقول اللغة وفي الحروف والأسماء و الأفعال، والجمل والفقرات والقصص وغيرها. وما يخص هذا البحث هو العدول اللغوي عن قواعد الصوت والصرف والنحو التركيب اللغوي؛ لأنَّه يشغل حيزاً كبيراً في اللغة العربية وقد يكون إجبارياً في بعض الاستعمالات، واختيارياً في بعضها ويشمل استعمال الحروف والأسماء و الأفعال، والجمل...، فقد يجنح الأديب إلى استخدام كلمة مكان أخرى أو تعبير

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب/ جامعة الأقصى- غزة.

(١) الشافعي،محمد بن إدريس،ديوانه،جمع وتعليق د.أحمد شتيوي، دار الغد الجديد ، القاهرة،٢٠٠٨م ص ١٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٦،٢٧

مكان آخر وهكذا لهدف يبحث عن تحقيقه في ذهن المتلقي ويحدث له فجأة تأخذه حيث يريده المبدع.

تمهيد: معنى العدول:

لغة: عند محاولة البحث عن معنى العدول تجد أنَّه قد جاء من العُدُولُ والعَدْلُ وهما مصدر الفعل الثلاثي عدل، "والعدل أنْ تعدل الشيء عن وجهه فتميله، عدلته عن كذا، ويقال: الطريق يُعدَلُ إلى مكان كذا،...، فإذا قالوا: يَنعَدلُ في مكان كذا أرادوا الاعوجاج"(١)

وله معانٍ عدة منها النظير والشرك والسوء والفداء...، ولكنه فيما سبق واضح أنَّه يدل على أنَّه يدل على أيِّ ميل أو بُعدٍ عن الأصل الحقيقي للشيء، يُسمَّى عدْلاً أو عُدُولاً، ويعضد ذلك ما يأتي أيضاً.

وكذا يقال:"عدَلتُه عن طريقِه وعدلتُ الدابةَ إلى طريقها: عطفتها، ...،وفي حديث عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملتُ عدَلوني كما يُعدَلُ السهمُ"(٢)

ويقال: "عَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حاد، وعن الطريق جار وعَدَلَ إليه، عُدُولاً رجع، وما لَه مَعْدِلٌ ولا مَعْدولٌ: أي مَصْرِفٌ،...، وفي الحديث "لا تُعْدَل سارِحتُكم"(٣)؛أَي لا تُصْرَف ماشيتكم وتُمال عن المَرْعى، والعَدْل أَنْ تَعْدِل الشيءَ عن وجهه، ... وانْعَدَل عنه وعادَلَ: اعْوَجَّ...، عَدَلَ عَنِّي يَعْدِلُ عُدُولاً لا يميل به عن طريقه المَيْلُ...، قال الأَحمر: عَدَلَ الكافرُ بربِّه عَدْلاً وعُدُولاً إِذا سَوَّى به غيرَه فعبَدَهُ"(٤)، وذلك كما جاء في قوله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) الأنعام /١، وقد تأتي بمعنى الفدية، كما جاء في

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد, العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار الهلال, بيروت, د ت ٤٠،٣٩/٢، الجوهري، إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م ١٣١٤/٢

(٢) الزمخشري، محمود، أساس البلاغة،تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م ٦٣٨/١،والذهبي، شمس الدين محمد ،سير أعلام النبلاء، الشيخ شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٣م ٣٧٢/٢، وزاد في العين، وسير أعلام النبلاء: "في الثقاف".

(٣) الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، غريب الحديث، تخريج وتعليق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٥م ٤٧٣/١

(٤) المصري، ابن منظور ، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ب ت (عدل)١٢٢/٩

قوله تعالى: (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) البقرة /٤٨؛ أي البدل أو الفدية[١]، ومما يأتي بمعناه "الازْوِرارُ عن الشيء: العدولُ عنه"[٢]

فالعدول قد تبين أنَّه بمعنى أيضاً الترك أي ترك شيء إلى شيء آخر من أجل شيء يهدف إليه المتكلم أو المبدع، فتقول: عدل المبدع عن القاعدة؛ أي تركها، وعدل عنها إلى أسلوبٍ آخر؛ لأداء المعنى في صورة أفضل في رأيه.

اصطلاحاً:

وفي الاصطلاح هو خروج عن المألوف من قواعد اللغة العادية وقوانينها وخرقها، أو خرق توقع المتلقي من النص؛ أيّ أنَّه تغييرٌ ما فيما كان ينتظره المُتلقِّي من المُلقي. وقد ذهب بعض القدماء إلى تعريف العدول عن أصل الكلمة فقالوا: إنَّ تغيير الكلمة عن أصل وضعها يكون لغرض معنوي، ويكون لغرض لفظي[٣]، وقد تناسب التصريف عندهم مع العدول فقال بعضهم: "تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالتصغير والتكسير واسم الفاعل ..."[٤]، وقد يكون الغرض منه كراهة التطويل والتكرار[٥]، ويمكن القول إنَّ العدول: "إنحراف الكلام عن نسقه المألوف"[٦]

وقد تناول الإمام الشافعي – رحمه الله– في ديوانه أغراضاً عدة تطلبت منه أنْ يستخدم لغة رصينة ويستخدم بعض الأساليب تطلب منه أنْ يعدل عن قواعد اللغة العربية المتبعة، وذلك في عدد من الحقول الصوتية والصرفية والتركيبية للغة.

---

(١) الكشاف –الزمخشري، محمود جارالله، ، انتشارات أفتات، تهران، ب ت ٦٧/١

(٢) الصحاح (زور) ٥٥١/١

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك الأنصاري،ابن هشام، ،تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر ، بيروت، د ت ٢٦٠/٤

(٤) الصبان، علي،حاشية الصبان على الأشموني، مكتبة الإيمان، المنصورة، د ت ٣٤٥/٤

(٥) ابن هشام ، عبد الله، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م ص ٧١

(٦) عبد المطلب، د.محمد، البلاغة والأسلوبية، لنجمان، القاهرة،١٩٩٤م ٢٦٨

وقد حاول الدكتور تمام حسان وضع بعض الضوابط لقبول العدول الذي جاء في أدب السابقين، وقد سماه ترخصا في القواعد اللغوية، ومن هذه الضوابط والقيود(١):

١-أن تكون مرهونة بمحلها، فلا يقاس عليها.

٢- أن تكون من الفصيح لا ممن جاء بعد عصر الفصاحة.

٣- أن يؤمن معها اللبس.

أولاً- العدول الصوتي:

قد استخدم الإمام بعض العدول الصوتي وذلك كما ذكر سابقاً على نوعين عدول لازم كذا استخدمته العرب، فلا مندوحة عنه، وعدول اختياري يأتي به مختارا، والعدول الصوتي يؤثر على صيغة الكلمة مما يؤدي إلى تغيير في وزنها الصرفي والعروضي، والعدول الصوتي الذي عدل إليه الإمام الشافعي يتمثل في خمس ظواهر ثنتان متصلتان بالهمزة والثالثة متصلة بحذف الياء من المنقوص، والرابعة والخامسة متصلتان بحروف العلة في الاسم و الفعل، وهي:

١- تخفيف الهمزة ٢-حذف الهمزة

٣-حذف ياء الاسم المنقوص ٤- قلب الواو تاء

٥- حذف الألف من الفعل الناقص

وقد جاء هذا العدول لازماً واختيارياً، **أما العدول اللازم فقد جاء منه:**

١- قلب الواو تاء. ٢- حذف ياء الاسم المنقوص.

٣- حذف الألف من الفعل الناقص.

١- **قلب الواو تاء،** وهو قلب قياسي في اللغة العربية وذلك كما جاء من قلب لازم للواو من الاسم التقى؛ لأنَّه معلوم أنَّه من الفعل وقى، فأصل التاء واو قلبت كما قلبت في تراث (٢) وذلك في قوله(٣):

---

(١) حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن،عالم الكتب،القاهرة،٢٠٠٠م ٧٦/٢

(٢) ابن عصفور،علي،الممتع في التصريف،تحقيق د.فخري الدين قباوة،مكتبة لبنان ناشرون،لبنان،١٩٩٦م ص ٢٥٤

(٣) الديوان: الفقيه والصوفي ص ٦٨

أقول معاذ الله أنْ يذهب التُقَى تلاصق أكباد بهن جراح

ومنه قوله[١]:

فذلك قاسٍ لم يذق قلبه تُقَى وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

فقد قلب الواو إلى تاء من تُقَى.

٢- **حذف ياء الاسم المنقوص** وقد حذف في البيت السابق الياء من اسم الفاعل قاسي النكرة مرفوع، وهو من الفعل: قسا.

وكذلك حذف الياء من اسم الفاعل باقي وهي من الفعل الناقص: بقى، في قوله [٢]:

فما المعزي بباقٍ بعد صاحبه ولا المعزى وإنْ عاشا إلى حين

وقد حدث هذا الحذف للياء من اسم الفاعل باقي؛ لأنَّه نكرة من الفعل المعتل بقي وذلك لأنَّه مجرور بالباء الزائدة في خبر ما الحجازية[٣].

٣- **حذف الألف من الفعل الناقص،** وقد حذف الألف من الفعل رأى عند إسناده إلى واو الجماعة وذلك عندما التقى ساكنان في قوله [٤]:

وإنْ رأوني بخير ساءهم فرحي وإنْ رأوني بشر سرهم نكدي

فهذا حذف لازم لو أنَّه عاد إلى الأصل لأخل بقواعد العربية التي تسامحت فيها وذلك تخفيفا على المتكلم.

أمَّا ما جاء عدولاً اختيارياً فذلك:

١- حذف الهمزة. ٢- حذف الهمزة من الفعل المهموز.

٣- تخفيف الهمزة.

١- حذف الهمزة:

---

(١) الديوان: الفقيه والصوفي ص٦٨

(٢) الديوان: تعزية ص١٦٧

(٣) الأزهري، الشيخ خالد، تحقيق د. محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية ، بيروت،٢٠٠٠م ٢٧٢/١

(٤) الديوان: صحبة الناس ص ٧٧

وحذفها كثير عنده وذلك نحو ما جاء في بعض الأسماء وهي كثيرة، منها: الأعدا، القضا، الخطا ، الجزا، الأسما، الوفا، الرجا، السما، وهي بلا شك أسماء ممدودة، وقد جاءت مفردة أي غير مضافة، وقد ذكر القدماء أنَّ حذف الهمزة من الظواهر التي تعتري اللغة ووضعوا لها مصطلحا للضرورة الشعرية "قصر الممدود"، وقد تحدث عن هذه الظاهرة ابن جني وهو يتحدث عما يرتكبه الشاعر من ضرورات حتى من المولدين، فقال في رده على سؤال هلا لم يجز لنا متابعتهم على الضرورة؟ فرد بأنَّه يحدث بأوجه عدة منها: "كثرة ما ورد في أشعار المحدثين من الضرورات، كقصر الممدود وصرف ما لا ينصرف وتذكير المؤنث ونحوه، وقد حضر ذلك وشاهده جلة من أصحابنا من أبي عمرو إلى آخر وقت...، ولم نر أحداً من هؤلاء العلماء أنكر على أحد من المولدين ما ورد في شعره من هذه الضرورات التي ذكرناها وما كان نحوها فدل ذلك على رضاهم به" [(١)]؛ أي أنَّ القدماء لم ينكروا ما وقع فيه المولدون من عدول وعد من الضرورة كما كان يعد من الضرورة عند شعراء القدماء، وقد جاءت هذه الحذوفات للضرورة الشعرية لتحقق بعض الأغراض والوظائف الصوتية في قصائده، وهي:

أ- الحفاظ على سلامة التفعيلة التي تمثل الموسيقى في البحر العروضي.

ب- الحفاظ على سلامة التفعيلة وتحقيق التوازي الرأسي بين كلمات القافية، وضبط إيقاعها.

ج- الحفاظ على سلامة التفعيلة، لتناسب العروض مع الضرب.

أ- **الحفاظ على سلامة التفعيلة** التي تمثل الموسيقى في البحر العروضي، وقد حدث كثيراً هذا المقصد في الديوان مقارنة بالمقاصد الأخرى، ويمثله قول الإمام الشافعي[(٢)]:

الهمُّ فضل والقضا غالب وكائن ما خط في اللوح

والبيت من السريع ، وكلمة القضا وقعت ضمن التفعيلة العروضية (مستفعلن)، فلو لم تحذف الهمزة لزاد في هذه التفعيلة مقطع صوتي قصير مضموم، وهو يمثل نشازا موسيقيا لا يقبله البحر السريع.

---

(١) ابن جني، عثمان، الخصائص،تحقيق محمد النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٩٩م ٣٢٩/١

(٢) الديوان: السكوت عن اللئيم ص ٦٩

ومنه قوله[١]

ولما قســا قلبي وضــاقت مذاهبي جعلت الرجــا مني لعفوك سلمـــا

وهذا البيت من الطويل، وكلمة الرجا وقعت ضمن التفعيلة العروضية مفاعيلن ...، فلــو لم تحذف الهمزة لزاد في هذه التفعيلة مقطع صوتي قصير مفتوح، وهو يمثل نشازاً موســيقياً لا يقبله البحر وليس في جوازاته.[٢]

ب – الحفاظ على سلامة التفعيلة وتحقيق التوازي الرأسي بين كلمــات القافيــة، وضــبط إيقاعها، قد حافظ الإمام على التوازي بين تفعيلات القافية في قــصيدتي: تــذلل واســتغاثة، وتوبة وندم، ففي القصيدة الأولى وهي من الطويل، جاءت كلمة الأسماء في القافية و حــذف الهمزة؛ لأنَّه يريد أنْ يوازي بين قافية الأبيات في القصيدة، فقد جاءت على الترتيــب قبلهــا: الرحمى والنظما، وبعدها: لا يظما، فحذف الهمزة لتتوازى القافية معه، ولو أنَّه لــم يحــذف الهمزة لم يحقق التعادل الموسيقي في القافية للقصيدة. وذلك في قوله[٣]:

بعهد قديــم من ألســت بــربكـــم؟ بمن كان مكنونا فعُرف بالأسمــا

أما القصيدة الثانية توبة وندم فهي من الطويل، فقد جاءت كلمة الأسماء في القافية و حــذف الهمزة في قوله [٤]:

حوالي ّ فضل الله من كل جانــب ونور من الرحمن يفترش السمـــا

فقد حذف الهمزة ؛ لأنَّه يريد أنْ يوازي بين قافية الأبيات في القصيدة، فقد جاءت على الترتيب قبلها: جهنما، وأجسما، وبعدها: ترحما، الحمى، فحذف الهمزة لتتوازى القافية معه، ولــو أنَّــه لــم يحذف الهمزة لم يحقق التعادل الموسيقي في القافية هذه القصيدة أيضاً.

ج– الحفاظ على سلامة التفعيلة، لتناسب العروض مع الضرب؛ أي آخر الشطر الأول مــع آخر الشطر الثاني، وقد حدث ذلك في بيتين الأول قوله [٥]:

أأُرى مُعَوِّق مؤمن يوم الجزا أو أن أسوء محمدا في أمته

---

(١) الديوان: توبة وندم ص ١٥٣

(٢) انظر الديوان:٣٢،٥٩،١٥١،١٧٩

(٣) الديوان: تذلل واستغاثة ص ١٥٣

(٤) الديوان: توبة وندم ص ١٥٤

(٥) الديوان: براءة ص ٥٩

فقد حذف الهمزة من كلمة الجزاء التي وقعت في تفعيلة عروض هذا البيت: فعولن...،حتى تسلم من الزيادة، ويتناسب الوزن ليحقق الموسيقى المرجوة منه، ولو أنَّه لم يحذف الهمزة منها لم يحقق التعادل الموسيقي بين القافية والعروض في هذا البيت.

وقوله[١]:

وكن بين هاتين من الخوف والرجا وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما

فقد حذف الهمزة من كلمة الرجاء التي وقعت في تفعيلة عروض هذا البيت: مفاعيل...، حتى تسلم من الزيادة، ويتناسب الوزن ليحقق الموسيقى المرجوة منه، ولو أنَّه لم يحذف الهمزة لم يحقق التعادل الموسيقي بين القافية والعروض في هذا البيت أيضاً.

٢- حذف الهمزة من الفعل المهموز: **ومما جاء بحذف الهمزة من الفعل المهموز الآخر على لغة من لغات العرب كما قال "أبو زيد: وقد يدَعون الهمزة فيقولون: جا يجي، والنَّاس يجون" [٢]، وذلك في قوله [٣]:**

من جا إليك فرح إليـــــــــــــه ومن جفاك فصد عنه

وقد جاء مضارعه محذوف الهمزة أيضاً؛ تسهيلاً لها في قوله[٤]:

فلا بدَّ من كون ما خط في الكتاب تجي به أو تصاب

٣ - تخفيف الهمزة:

وتخفيف الهمزة يأتي عنده قياسي وهو تسهيل الهمزة إلى الحرف الذي كتبت عليه، إنْ كان واواً سهلت إليها وإنْ كان ياء سهل إليها وإنْ كان ألفاً سهل إليها أيضاً، وهو أكثر ما جاء عند الإمام، و مما سهلت الهمزة فيه إلى ياء وإنْ كانت على واو- في الأصل- فهي

(١) الديوان توبة وندم ص١٥٣

(٢) الزمخشري، محمود، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل السود عيون، الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م ١/ ١٦١

(٣) الديوان: زن بما وزنت به ص ١٥٩

(٤) الديوان: فما دون سائل ربي حجاب ص٣٨

مكسورة، ، إلاَّ إنْ كانت من لغة : "وسَأَلْتُ أَسْأَل وسَلْتُ أَسَلُ" [١]؛ لغة في مهموز العين، نحو قوله[٢]:

مـــاذا يُخبّر ضيف بيتك أهـــلـــه إنْ سِيلَ كيف معاده ومعاجه

وهي من الفعل سأل يسأل مبني للمجهول: سؤل، فقد عامله معاملة الأجوف فكسر الأول مما أدى إلى تسهيل الهمزة المضمومة إلى ياء.

و من تسهيل الهمزة ألفاً قوله[٣]:

أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقـــى محبا شرابا لا يضام ولا يظمـــــا

ويظمأ من الفعل ظمئ، وقد سهل الهمزة إلى الألف في المضارع للمعلوم.

وقوله [٤] :

إذا حار أمرك في معنيين ولم تدر فيما الخطا والصواب

والخطأ من الفعل أخطأ، وقد سهل الهمزة إلى الألف في المصدر.

ومنه أيضاً قوله [٥]

فيا ليت شعري هل أصير لجنة أهنا وإما للسعير فأندما

أهنأ من الفعل هنئ، وقد سهل الهمزة إلى الألف في المضارع للمعلوم.

ومن تسهيل الهمزة واواً قوله [٦]:

وإنْ أسلم يمت قبلي حبيب وموت أحبتي قبلي يسوني

يسوء من الفعل ساء، وقد سهل الهمزة إلى الواو في المضارع للمعلوم. ولعل الإمـــام في هذه الأبيات أعطى وقعاً موسيقياً أكثر جمالاً من إثبات الهمزة؛ لأنَّه لا يوجـــد ضـــرورة شعرية يلجأ إليها، ومعلوم أنَّ الألف والياء والواو أسهل مخرجاً من الهمزة؛ لأنهما هوائيـــان، و "يمتازان بانفتاح كبير جداً يقربهما من الحركات، لذلك يعتبر كلاهمـــا نـــصف حـــرف أو

---

(١) لسان العرب، (سأل)

(٢) الديوان: حديث الضيف ص ٦٣

(٣) الديوان: تذلل واستغاثة ص ١٥٣

(٤) الديوان: فما سائل ربي حجاب ص ٣٨

(٥) الديوان: توبة وندم ص ١٥٤

(٦) الديوان: آت بعد حين ص١٦٨

نصف حركة...، وهذه الخاصية هي التي تجعل هذين الحرفين كثيري الحذف والتغيير"[١]، بينما الهمزة فهي "صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأنَّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً" [٢]؛ لذا جنح العرب لتسهيلها كثيراً في كلامهم.

ثانياً – العدول الصرفي:

قد يضطر الشاعر لحذف أو تغيير في بنية الكلمة ليستجيب له الوزن أو القافية كي تتم الموسيقى الداخلية في البيت، ولا يحدث نشازاً فيه، ويظهر العدول الصرفي الاختياري في ديوان الإمام بمظاهر عدة:

١- عدول لازم. ٢-عدول اختياري.

١- عدول لازم: أ- القلب في بعض الأحرف.

٢- عدول اختياري:

أ- تعدي الفعل اللازم. ب -لزوم الفعل المتعدي.

ج- استخدام بنية مكان بنية. د- صرف ما لا ينصرف.

١- عدول لازم:

قد جاء هذا العدول بين اللازم والاختياري في بيتين لكلمة آيس، ولازم في بيت واحد.

أ- قلب بعض الأحرف مكان بعضها:

قد جاء القلب اللازم في بعض الأبيات في الديوان، فقد استخدم اسم الفاعل من يئس على آيس والأصل: يائس مثل: بائس فقدم الألف على الياء[٣] ثم سهل الهمزة بالمدَّة، ولا مانع من استخدام الأصل، إلاَّ أنَّ الفصحى تميل إلى آيس، كما جاء في قوله[٤]:

انتظر الروح وأسبابه آيس ما كنت من الروح

---

(١) البكوش، د.الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٩٩٢م ص ٤١،٤٢

(٢) أنيس،د. إبراهيم، الأصوات اللغوية، الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٧٩م ص ٩٠

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٢١٢/٤، الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٥م ص ٢٥

(٤) الديوان: السكوت عن اللئيم ص ٦٩

وكذا في قوله [١]:

فإن تنتقم مني فلست بآيس ولو أدخلوا نفسي بجرم جهنما

فقد استخدم آيس اسم الفاعل من يئس، وقلب كما ترى؛ لأنَّ استخدامها أكثر في اللغة من يائس وليستقيم له الوزن.

وقد تقلب الواو همزة كما جاء في قوله[٢]:

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن نصيبك إرث قدمته الأوائل

قد قلب الواو المكسورة همزة، نحو: وسادة ووفادة[٣]، وهذا القلب لا يؤثر في الوزن، فالواو متحركة، وكذا الهمزة.

ومن القلب اللازم أيضاً نحو ما سبق مثله في العدول الصوتي في تقى، والتقى؛ لأنهما وتقوى من الفعل وقى، وهو ما جاء في قوله [٤]:

يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

٢- عدول اختياري:

أ- تعدية الفعل اللازم:

لا شك في أنَّ الأفعال لها دور فعال في بناء القصيدة الشعرية، لكنَّ الأمر لا يسلم من كون هذه الأفعال وما يلحقها من مفاعيل أو جار ومجرور قد تتعارض مع الوزن أو القافية فيلجأ الشاعر إلى تغيير في التركيب الأصلي لها، فيعدي اللازم أو يلزم المتعدي، وحذف الجار يأتي مع "أفعال توصل بحروف الإضافة، فنقول: اخترت فلاناً من الرجال وسميته بفلان كما تقول: عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها وأستغفر الله من ذلك فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل"[٥]، وذا الحذف عندما "اتسع فيه فحذف حرف الجر، فصار لك فيه وجهان وذلك نحو قولك: اخترت الرجال بكراً، وأصله من الرجال"[٦] قد يأتي الحذف مطرداً وذلك

(١) الديوان: توبة وندم ص ١٥٤

(٢) الديوان: المرء لا يولد عالما ١٤١

(٣) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب،تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق،١٩٨٥م ٩٢/١

(٤) الديوان: أماني الإنسان ص ٧٣

(٥) سيبويه، عمرو، الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة المصرية، مصر،١٩٦٥م ٣٨/١

(٦) ابن يعيش،موفق الدين،شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ب ت ٦٢/٧

في نحو قولك: "عجبت أنْ تقوم، أو أنَّك قائم، والأصل: من أنْ تقوم، ومن أنَّك قائم، فحذف حرف الجر تخفيفاً لطولهما بمتعلقهما"(١)، وقد استعمال الفعل اللازم متعدياً، كما جاء في قوله: (٢)

أأنعم عيشا بعد ما حل عارضي طلائع شيب ليس يغني خضابها

الفعل هنا أنعم لازم يقال:أنعم به ولكن الشاعر حذف حرف الجر وعدى الفعل للمفعول وذلك حتى تستقيم له تفعيلة الطويل فعولن مفاعيل، فالحذف هنا جاء لإقامة الوزن في البيت. ومنه ما جاء في قوله:(٣)

وأكثر من الإخوان ما استطعت إنهم بطون إذا استنجدتهم وظهور

وكذا في الفعل استنجد فهو لازم وقد عداه، بعد أنْ حذف حرف الجر الباء، فأصله استنجد بهم، وقد حذفها أيضاً ليحافظ على صحة تفعيلة بحر الطويل مفاعيل فعولن؛ لتستقيم الموسيقى الداخلية للبيت. وكذا حدث الحذف في الفعل: ليخفاهم، من البيت الثاني في: أسباب الغنى، فعداه بحذف الجار، والأصل أنْ يقول: يخفى عنهم، وذلك كما في البيتين السابقين.

ب – لزوم الفعل المتعدي:

الفعل المتعدي قسم من الأفعال تتعدى إلى مفعولها بلا واسطة كما هو معلوم، وقد يلزم بعض هذه الأفعال الشاعر، وقد وضع النحاة والصرفيون سبلاً للزوم المتعدي خمسة: "الأول: التضمين لمعنى لازم، والتضمين إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى الكلمتين...، الثاني: التحويل إلى فعل بالضم لقصد المبالغة والتعجب...، الثالث: مطاوعته المتعدي...، الرابع: الضعف عن العمل إمَّا بتأخير...أو بكونه فرعاً في العمل...، الخامس: الضرورة"(٤)، وما جاء عند الإمام ليس من الأربعة الأول، فهو من الضرورة، كما جاء في قوله:(٥)

---

(١) ابن عقيل،عبد الرحمن،المساعد على تسهيل الفوائد،تحقيق د.محمد كامل بركات،دار المدني،جدة،١٩٨٤م ٤٢٩/١

(٢) الديوان: نصائح غالية ص٤٠

(٣) الديوان: الصديق والعدو ص٩٣

(٤) حاشية الصبان على الأشموني ١٣٤/٢،١٣٥،١٣٦

(٥) الديوان: العلم نور ص١٠٦

وأخـــبرني بأن العـــلم نـــــور ونور الله لا يهـــدى لعـــاص

استعمال الفعل أخبر المتعدي لازماً، وعداه بحرف الجر البـــاء، ولاشـــك أنَّهـــا تفيـــد الإلصاق [١] والإلصاق يقوي الكلام ويؤكده، وزيادة الباء أقامت له تفعيلـــة الـــوافر مفـــاعلتن مفاعلتن، ولو حذف وعدى الفعل لما اكتملت التفعيلة واختلت موسيقى البيت الداخلية.

كذا جاء في قوله:[٢]

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء

فقد جاء الفعل تدري لازماً، وهو متعدٍ في الأصل، إلاَّ أنَّ الإمام جـــاء بـــه لازمـــاً، وذلك كما سبق فإنَّ زيادة الباء أقامت له تفعيلة الوافر مفاعلتن مفاعلتن، ولو حـــذف وعـــدى الفعل لما اكتملت التفعيلة واختلت موسيقى البيت الداخلية.

متعدي ولازم وقد استخدم بعض الأفعال لازمة، وهي تستخدم لازمة ومتعديـــة، وقـــد ذكـــر الرضي أنَّ "بعض الأفعال: إنَّه متعد بنفسه مرة، ومرة إنَّه لازم ، متعد بحرف الجر، وذلـــك إذا تساوى الاستعمالان، وكان كل واحد منهما غالباً، نحو: نصحتك ونصحت لك، وشـــكرتك وشكرت لك"[٣]،ومما جاء في الديوان قوله [٤]:

فإذا سمعت بأنَّ مجدودا حـــــوى عودا فأثـــمر في يديه فصـــــدق

وإذا سمعت بأنَّ محـــرومـــا أتى ماء ليشـــربه فغـــاض فحـــقـــق

وهذا الاستخدام كسابقه فإنَّ زيادة الباء أقامت له تفعيلة الكامل متفاعلن متفاعلن، ولـــو حـــذف وعدى الفعل لما اكتملت التفعيلة واختلت موسيقى البيت الداخلية أيضاً.

ج – استخدام بنية مكان بنية:

جاء العدول هنا عن بعض الأوزان التي لا تناسبه إلى أوزان تتناسب مع البحور التـــي استخدمها، ولها بعض المعاني المطلوبة للأبيات، وقد نَّوه بذلك ابن جني بقوله: "فإذا كانـــت

---

(١) شرح المفصل – ابن يعيش ٢٢/٨

(٢) الديوان: لا تهزأ بالدعاء ص ٣٢

(٣) شرح الكافية الرضي، محمد، ،تحقيق عمر يوسف،جامعة قاريونس، ليبيا،١٩٧٨م ١٣٦/٤

(٤) الديوان: الحظ ص ١٢٨ الكامل

الألفاظ أدلة على المعاني ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى بـه، وكـذلك إن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له ، وأكثر ذلك أن يكون مـا حدث له زائداً فيه" [(١)]، فالعدول من صيغة إلى صيغة أخرى الصيغة المستخدمة، وذلك نحـو "تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله، وذلك فعال في معنى فعيل؛ نحو: طـوال؛ فهو أبلغ معنى من طويل وعراض؛ فإنَّه أبلغ معنى من عريض. وكذلك: خفاف من خفيـف، وقلال من قليل، وسراع من سريع. ففعال – لعمري – وإنْ كانت أخـت فعيـل فـي بـاب الصفة، فإنَّ فعيلاً أخص بالباب من فعال؛ ألآ تراه أشدَّ انقياداً منه؛ تقول: جميـل ولا تقـول: جمال، ...، ولحم غريض، ولا يقال: غراض. فلما كانت فعيل هي الباب المطرد و أريـدت المبالغة، عدلت إلى فعال"[(٢)]، وغيرها كثير جداً. ويمكن تقسيم هذا العدول:

١- عدول في المشتقات ٢ – عدول في المصادر

٣ – عدول في الأفعال ٤ – عدول في الجمع

١- عدول في المشتقات:

حدث هذا العدول في ثلاثة أبيات من الديوان، نحو: فعيل مكان فاعـل، فاعـل بـدل مفعول، فعل بدل مفعول، نحو ما جاء في قوله[(٣)]:

أحب من الإخـوان كـل مواتي وكل غضيض الطرف عن عثراتي

فقد استعمل كلمة غضيض فعيل بدلاً من غاض فاعل ولا يخفى ما في فعيل من المعنـى الزائد عمَّا يعطيه وزن فاعل من معنى، وقد أبدلها ليحافظ على صحة تفعيلة بحـر الطويـل مفاعيل فعولن؛ لتستقيم الموسيقى الداخلية للبيت.

وكذا فعل في قوله[(٤)]:

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقه

(١) الخصائص ابن جني، عثمان، ، تحقيق محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٩٩م ٢٧١/٣

(٢) المرجع السابق ٢٧٠/٣

(٣) الديوان: أصدقاء الحياة ص٥٧ الطويل

(٤) الديوان: طلب القود ص ١٢٥ الكامل

وقد أبدل طالقة من مطلوقة اسم المفعول لأنَّ المعنى يؤيد اسم المفعول إلاَّ أنَّه أبدلها في نهاية البيت؛ لتناسب العروض مع الضرب؛ أي آخر الشطر الأول مع آخر الشطر الثاني, ويحافظ على تفعيلة الكامل متفاعلن متفاعلن، وموسيقى البيت الداخلية.

وكذا في قوله[١]:

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى ودينك موفور وعرضك صين

وقد أبدل صين من مصونة اسم المفعول لأنَّ المعنى يؤيد اسم المفعول إلاَّ أنَّه أبدلها؛ ليحافظ على صحة تفعيلة بحر الطويل مفاعيل فعولن؛ لتستقيم الموسيقى الداخلية للبيت.

٢ – عدول في المصادر:

وقد وقع أيضاً هذا العدول من اسم مشتق إلى المصدر فعال، كما جاء في قوله[٢]:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا

فقد استخدم سفاراً بدلاً من مسافرا وذلك وهي حال والغالب فيه أن يكون مشتقاً [٣]، وذلك؛ ليحافظ على صحة تفعيلة بحر البسيط مستفعلن فاعلن مستفعلن؛ في شطري البيت لتستقيم الموسيقى الداخلية فيه.

وكذا فع في بعض الأبيات الأخر نحو ما أبدل عدة بدلاً من موعد [٤]، كما أبدل مصدر فعلى بدل فعلة[٥]، وأبدل المصدر فعل بدل فعال[٦]، وأبدل أي من المصدر في المفعول المطلق.

٣– عدول في الأفعال:

وقد أبدل بعض الأفعال من بعضها، فقد أبدل أفعل مكان فعل، في قوله [٧]:

---

(١) الديوان: كلك سوءات وللناس أعين ص ١٦٤

(٢) الديوان: جنان الخلد ص ٨٧

(٣) ابن مالك، محمد، شرح التسهيل،تحقيق د. عبد الرحمن السيد وغيره، هجر، القاهرة، ١٩٩٠م ٣٢٢/٢

(٤) الديوان: يا كاحل العين ص ٩٥

(٥) الديوان: تذلل واستغاثة ص ١٥٣

(٦) الديوان: تأتي العزة بالقناعة ص ١٦٥

(٧) الديوان: أخلاق الرجل ص ٥٨

جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت بنا نعلنا في الواطئين فزلت

فقد استخدم أزلفت بدلاً من زلفت، فإنَّ زيادة الهمزة أقامت له تفعيلة الوافر مفاعلتن مفاعلتن، وليتناسب العروض مع الضرب؛ أي آخر الشطر الأول مع آخر الشطر الثاني, ولو حذف الهمزة من الفعل واستخدم زلت، لما اكتملت التفعيلة، واختلت موسيقى البيت الداخلية.

٤ – عدول في الجمع:

معلوم أنَّ هناك جمع قلة وجمع كثرة فقد أبدل جمع القلة أفعل من جمع الكثرة فعول، رغم أنَّ أعين تستخدم كأنفس في التوكيد المعنوي، ولا يُستخدم جمع آخر لعين [١]، وذلك كما جاء في قوله[٢]:

فلا ينطق منك اللسان بسوأة فكلك سوءات وللناس أعين

وعينا إن أبدت إليك معائبا فدعها وقل يا عين للناس أعين

وكذا في قوله[٣]:

فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب

فقد استخدم أفعل مكان فعول وهو جمع قلة بدلاً من جمع الكثرة في الأبيات السابقة.

د– صرف ما لا ينصرف:

وهذا الصرف جائز عند النحاة في الشعر وقد ورد في القرآن الكريم أيضاً، وقد قال سيبويه: "اعلم أنَّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء؛ لأنَّه أسماء كما أنَّها أسماء" [٤]، فقد نون الإمام كلمة جهنم في قوله[٥]:

فإن تنتقم مني فلست بآيس ولو أدخلوا نفسي بجرم جهنما

---

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٨٩

(٢) الديوان: كلك سوءات وللناس أعين ص ١٦٤

(٣) الديوان: حب آل محمد صلى الله عليه وسلم ص ٤٨

(٤) كتاب سيبويه ١/ ٢٦

(٥) الديوان: توبة وندم ص ١٥٤

وكلمة جهنم ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، وقد صرفها؛ كما مرَّ سابقاً أنَّ سيبويه أجاز ذلك للضرورة الشعرية، وهنا جاءت لضرورة الوزن الشعري في بحر الطويل، وقد جاءت في القافية، وقافية القصيدة مطلقة، فقد جاءت بين: تكرما، مسلما، جهنما، أجسما، السما، فألحق كلمة جهنم ألف الإطلاق؛ أي صرفها؛ لتتطرد له القافية، وتستقيم له الموسيقى الرأسية للقصيدة.

ثالثاً– العدول النحوي:

يقصد بهذا العدول ما جاء مخالفاً لقاعدة من القواعد النحوية للغة العربية التي استنبطها نحاتنا القدماء، وذلك في شعر الإمام الشافعي– رحمه الله– وسبق أنَّ شعره كان مليئاً بمعاني الحكمة والزهد والتعبير عن تجارب الذاتية والتجارب العامة، والنصح، مما جعله يستعمل أسلوب الشرط كثيراً، وقد جاء العدول النحوي عنده بمظاهر عدة:

١– حذف المفعول به. ٢– حذف أن المصدرية.

٣ – حذف الجار والمجرور. ٤– تعاور حروف الجر.

٥– جر الحال بحرف جر. ٦– الاسم نكرة والخبر معرفة.

٧– عدل في جملة الشرط.

١– حذف المفعول به:

الجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل ومفعول غالبا لكن قد يقتضي الأمر أنْ يحذف المفعول فيعد عدولاً عن الأصل وقد حدث هذا في ديوان الإمام– رحمه الله– في بيت واحد هو قوله[١]:

فما لغواة يشتمون سفاهة وما لسفيه لا يحيص ويخرص

فقد حذف مفعول الفعل يشتمون وهو الياء مع نون الوقاية التي تتصل بالفعل وجوباً(٧٣) [٢]؛ وذلك للحفاظ على تفعيلة البحر الطويل فعولن مفاعيل، فالحذف هنا جاء لإقامة الوزن في البيت، والحفاظ على الموسيقى الداخلية له.

٢–حذف أنْ المصدرية:

(١) الديوان: خلفاء رسول الله ص ١٠٥

(٢) أوضح المسالك ١٠٦/١

معلوم أنَّ أن المصدرية تؤول مصدراً وهذا المصدر قد يقع مفعولاً أو مبتدأ أو غيره، وقد حذفها في بيت واحد هو قوله[١]:

وتسترجع الأيام ما وهبتكم ومن عادة الأيام تسترجع القرضا

قد حذف أنْ المصدرية قبل الفعل تسترجع لكي تقع مبتدأ وشبه الجملة تتعلق بخبر محذوف إلاَّ أنَّه حذفها؛ كي يحافظ على تفعيلة البحر الطويل فعولن مفاعيل، فالحذف هنا جاء لإقامة الوزن في البيت،والحفاظ على الموسيقى الداخلية له أيضاً.

٣-حذف الجار والمجرور:

شبه الجملة قد تعد من مكملات الجملة الفعلية، وذلك إذا كان الفعل لازماً، وقد حذفها في بيت واحد هو قوله[٢]:

إني اطلعت فلم أجد لي صاحبا أصحبه في الدهر ولا في غيره

فقد حذف الجار والمجرور شبه الجملة المتعلقة بالفعل اطلع فله أن يقول: اطلعت على الأصحاب، مثلاً، إلاَّ أنَّه حذفها وذلك كما سبق للحفاظ على تفعيلة الكامل متفاعلن متفاعلن، ولو لم يحذف لزاد الوزن في التفعيلة واختلت موسيقى البيت الداخلية أيضاً.

٤- تعاور حروف الجر:

قد يقع حرف جر موقع حرف آخر وذلك لتضمين فعل معنى فعل آخر، وقد حدث هذا في الديوان مرة واحدة، في قوله [٣]:

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن نصيبك إرث قدمته الأوائل

قد وقع في هذا البيت حرف الجر من بدلاً من الباء مع الفعل ترضى، فهو يتعدى بالباء أو عن، تقول رضيت به [٤] أو عنه، واستخدم حرف الجر من ليدل على أنَّه لا يقبل بأقل، عيشٍ، هذا شيء والثاني أنَّه لو استعمل الباء لما استقام له الوزن، ولم يحافظ على تفعيلة

---

(١) الديوان: الجود ص١٠٩

(٢) الديوان: ندرة وجود الصديق المخلص ص ٨٩

(٣) الديوان: المرء لا يولد عالما ص ١٤١ الطويل

(٤) أساس البلاغة١ /٣٥٩، ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٩٩م ١٦٤/١

البحر الطويل فعولن مفاعيل، فالحذف هنا جاء لإقامة الوزن في البيت، والحفاظ على الموسيقى الداخلية له أيضاً.

٥-جر الحال بحرف:

الأصل في علامة الحال النصب، ولكن قد يجر في الشعر بالباء أو من [١]، وقد حدث في ديوانه -رحمه الله- في بيت واحد أيضاً وهو [٢]:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه رماني بسهمي مقلتيه على عمد

قد جاء قوله: على عمد، حالاً لكنَّه جره بعلى، وأصل الكلام: رماني عمداً؛ أي متعمداً،أو عامداً، وهو مصدر مؤول بمشتق، لكنه عدل إلى جره بعلى ليدل على الحال و الاستعلاء، كما أنَّه لو جاء على الأصل لاختل الوزن والقافية، وقد فعل ذلك ليحافظ على تفعيلة البحر الطويل فعولن مفاعيل، فالعدول هنا جاء لإقامة الوزن في البيت والقافية، والحفاظ على الموسيقى الداخلية الأفقية والرأسية.

٦- الاسم نكرة والخبر معرفة:

معلوم أن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ إلاَّ أنَّه جاء باسم يكن نكرة موصوفة بالجملة بعده يسوغ مجيئها اسماً، وهي أقل ضرورة من بيت الكتاب [٣]؛ لأنَّ النكرة موصوفة هنا، وقد ورد ذلك في بيت واحد هو [٤]:

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن نصيبك إرث قدمته الأوائل

كلمة إرث تعرب اسما للفعل يكن؛ لأنها لو كانت خبرا لنصبت ونونت، فدل ذلك على أنَّه الاسم والخبر مقدم هو نصيبك المضاف للضمير، ويوحي هذا التقديم بأنَّه لا يرضى أن يكون عالة على الأقدمين، ويدعي أنَّه نصيبه، ولو أنَّه اتبع الأصل لنون إرث لأنها نكرة واختل الوزن وزادت التفعيلة، واختلت الموسيقى الداخلية.

٧- العدول في جملة الشرط:

---

(١) المساعد على تسهيل الفوائد ٧/٢

(٢) الديوان: طلب القود ٧٩

(٣) الكتاب ٣٨/١، في بيته:فإنك لا تبالي بعد حول أظبي كان أمك أم حمار

(٤) الديوان: المرء لا يولد عالما ص١٤١

أسلوب الشرط يتكون من جملتين تسمى الأولى فعل الشرط والثانية جوابه، وهناك أدوات له تربط هاتين الجملتين، وتعلق الثانية بالأولى، وله نظام معين محدد تسير عليه اللغة، وما لا يوافقه يعد عدولاً، واستخدمه كثيراً؛ ليساعده في إبراز المعاني يريدها، وقد وقع العدول في الديوان عندما استعمل الإمام – رحمه الله– أسلوب الشرط في صور عدة:

أ–استعمال الماضي بدلا من المضارع مع أدوات الشرط.

ب–حذف فاء الجزاء الواقعة في الجواب.

ج–حذف جواب الشرط.

د– مجيء اسم مرفوع بعد أداة الشرط.

أ–استعمال الماضي بدلاً من المضارع مع أدوات الشرط:

الأصل في فعلي جملة الشرط أنْ يكونا مضارعين، ويجوز غيره في الشعر والنثر(١)، لكن هذا يكون عدولاً عن الأصل؛ لأنَّ الجزم حينئذ يكون في المحل، وقد ورد هذا العدول كثيراً في الشعر العربي وفي ديوان الشافعي، فقد جاء في حوالي تسعة وعشرين بيتاً، منها قوله(٢):

إني رأيت ركود الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

جاء الفعل الماضي بدلاً من المضارع مع حرف الجزم إنْ، ولو استخدم المضارع لتغيير وزن البيت واختلت تفعيلة البسيط مستفعلن فاعلن ...، ولو جاء بالمضارع لتغيرت التفعيلة كلياً ولخرجت عن تفعيلات هذا البحر وما يتغير فيه، فالوتد في نهاية التفعيلة سيصبح سببين.

ومنه قوله (٣):

إنْ كنت تغدو في الذنوب جليدا وتخاف في يوم المعاد وعيدا

فلقد أتاك من المهيمن عفوه وأفاض من نعم عليك مزيدا

(١) حاشية الصبان على الأشموني ٢٤/٤

(٢) الديوان: دع الأوطان واغترب ص ٤٦

(٣) الديوان: عفو الله ص ٨٠

فقد عدل عن الفعل المضارع إلى الفعل الماضي مع حرف الشرط إنْ، واتصل جواب الشرط بفاء الجزاء، ولو جاء بالمضارع لجزمه واختلفت حركات البيت مما يؤثر على تفعيلة الكامل:متفاعلن...،ويختل وزنه وتضطرب موسيقاه الداخلية.

ومنه قوله(١):

ومن هاب الرجال تهيَّبـــوه ومن حَقِـرَ الرجال فلن يهابا

وما قضت الرجال له حقوقا ومن يعص الرجال فما أصابا

وهنا تكرر اسم الشرط من، وجاء الماضي ثلاث مرات الأولى لم يجـزم معـه فعـل الجواب المضارع، وفي الثانية جاء بفاء الجزاء حسب قاعدتها، والثالثة جزم به وجاء بالفاء، والعدول في فعل الشرط الماضي الأول، ولو جاء بالمضارع لاختلت تفعيلة البحر الكامـل: متفاعلن...، ويختل وزنه وتضطرب موسيقاه الداخلية.

ب–حذف فاء الجزاء الواقعة في الجواب:

معلوم أنَّ فاء الجزاء يجب أنْ تتصل بجواب الشرط إذا لم يكن فعلاً مـضارعاً قـابلاً للجزم، إلاَّ إنْ كان فعل الشرط ماضياً فذلك جائز لا واجب(٢)، وأتى العـرب بهـا ليجعلـوا الفعل "سبب ذلك، فهذا جزاء وإنْ لم يجزم"(٣)، وقد جاء الماضي فعل الشرط في قوله(٤):

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فـرّجت عنـه وإن خليته كـمدا يمـوت

قد جاء الماضي بدلا من المضارع، ثلاث مرات الأولى الماضي مع إذا وجاء الجواب بفـاء الجزاء، والثانية والثالثة مع الحرف إن و الجواب بلا فاء الجزاء، ففي الأولى جـاء بالفـاء لتساعده على استكمال تفعيلة الوافر مفاعلتن الثانية في الشطر الأول للبيت الأول، وفي الـشطر الأول في البيت الثاني لم يأت بالفاء وذلك حتى لا يتحول السبب إلى وتد في التفعيلـة الثانيـة مـن

(١) الـديوان: تـوقير الرجـال ص ٤٧، وانظـر: ٤٢،٤٦،٤٧،٦٤،٨١،٨٤،٩٢،١١٠.
١٦٨،١٨٤،١٦٧،١١٣،١٢٥،١٢٩،١٣٤،١٤٠،١٤١،١٥٠،١٥١،١٥٩،١٦٤.

(٢) حاشية الصبان على الأشموني ٤/٢٨–٣٠

(٣) الكتاب سيبويه ٣/١٠٢

(٤) الديوان: السفيه ص ٥٤

الشطر الأول، وفي الشطر الثاني فعل ذلك أيضاً ولا يخفى من خلل يقع في موسيقى البيت عند تغيير الوزن للتفعيلات. ومنه قوله(١):

فإن قلت لي بيت وسبط وسبطة وأسلاف صدق قد مضوا وجدود

صدقت ولكن أنت خربت ما بنوا بكَفيْكَ عَمْدا والبناء جديد

قد جاء الماضي مع الحرف إن، وهنا لم يأت بفاء الجزاء في الجواب جوازاً- كما سبق- لأنَّ فعل الشرط ماضياً، لأنَّه لوجاء بالفاء تغيرت تفعيلة الطويل: فعولن مفاعيلن...، وأصبح الوتد في التفعيلة الأولى فاصلة صغرى مما يؤدي إلى اختلال الموسيقى الداخلية للبيت، ومنه قوله (٢):

ما شئت كان وإنْ لم أشأ وما شئت إنْ لم تشأ لم يكن

قد جاء الماضي مع الاسم ما في الشطر الأول، وحذف فيه أيضاً جواب الشرط الثاني منه، وفي الشطر الثاني جاء الماضي مع الاسم ما، واعترض بينه وبين الجواب بشرط آخر حذف جوابه أيضاً، ولم يأت بالفاء فيهما، ولو أتى بها في جواب الأول في الشطر الأول مع الجواب لزاد حركة في تفعيلة المتقارب الثانية: فعولن...؛ لأنَّ الوتد سيصبح فاصلة صغرى, وهذا يخل بالوزن الذي يؤثر في موسيقى البيت الداخلية.

ج-حذف جواب الشرط:

يمكن حذف جواب الشرط لتقدم ما يغني عنه، فالعرب "قد تترك في مثل هذا الخبر (الجواب) في كلامهم، لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام"(٣)، وليس ما تقدم هو الجواب (٤)، وقد ورد في الديوان حوالي ثلاث وعشرون مرة، و مما جاء منه قوله (٥):

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفذ القضاء

---

(١) الديوان: أي ذاك تريد ص ٧٤

(٢) الديوان: المشيئة الإلهية ص ١٦٠، وانظر: ٨٨،٨٠،٨٧،٣١،٤٠،٤١،٥٩،٧٧،٧٨، ١٢٨،١٤١،١٤٤،١٥٠،١٥١،١٥٤،١٥٦،١٧٩،٩٢،١٠١،١١٣،١١٦.

(٣) الكتاب سيبويه ١٠٢/٣

(٤) شرح الرضي على الكافية ١٠٠/٤، حاشية الصبان على الأشموني ٣٦/٤

(٥) الديوان: لا تهزأ بالدعاء ص٣٢

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الأول مع الاسم إذا، لكنه قد حذف جواب الشرط، ولا يخفى ما في حذفه من إبلاغ للسامع ولفت انتباهه، وجعله يبحث عن الجواب، وقد حذف لوجود معناه قبل فعل الشرط فأغنى عن تكراره، لما في التكرار من تطويل وملل على القارئ أو السامع، فاللغة حاولت التقليل من جهد المتكلم والسامع على حد سواء.

ومنه كذلك حذف في قوله[١]:

فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الأول مع الحرف إنْ، لكنه قد حذف جواب الشرط، لتقدم ما يغني عنه، ولا يخفى ما في حذفه من إبلاغ للسامع ولفت انتباهه، كما سبق.

ومن حذف الجواب، قوله [٢]:

لا خير في حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيونه

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الثاني مع الاسم إذا، لكنه قد حذف جواب الشرط، لتقدم ما يغني عنه، ولا يخفى ما في حذفه من إبلاغ للسامع ولفت انتباهه للحكمة فيه.

د- مجيء اسم مرفوع بعد أداة الشرط:

الأصل في جملة فعل الشرط أنْ تُصدر "بفعل متصرف مجزوم بالأداة لفظاً أم تقديراً...، ولا يتقدم الاسم على الفعل على الإضمار المذكور مع غير إنْ من أدوات الشرط إلاَّ في الضرورة" [٣]، فإذا جاء اسم مرفوع بعد اسم شرط يكون من قبيل الضرورة وحينئذٍ لا يعرب مبتدأ وإنَّما "وجب حمله على فعل مضمر عامل فيه عمل الفعل الظاهر فيما اشتغل به"[٤]؛ أي لا بدَّ من تقدير فعل محذوف بعد أداة الشرط ليعرب الاسم فاعلاً، وقد أجاز الفراء أن يُعرب مبتدأ والفعل خبره [٥] .

---

(١) الديوان: حب آل محمد صلى الله عليه وسلم ص ٤٨

(٢) الديوان: الصمت خير من حشو الكلام ص ١٦٩، وانظر: ٣٧،٥٦،٦٣،٧٦،٧٨،٨١،٩٠،٩٢،٩٤،٩٦،١١٠

(٣) شرح التسهيل لابن مالك ٧٤/٤

(٤) المرجع السابق والصفحة.

(٥) شرح المفصل- ابن يعيش ٨٢/١

ومن مجيء الاسم بعد أداة الشرط قوله[١]:

إذا لم تكن تاركا زينة إذا المرء جاء بها يستراب

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الثاني مع الاسم إذا، لكنه قد فصل بينه وبين الأداة باسم مرفوع، وذلك ضرورة كما سبق.

ومن مجيء الاسم المرفوع بعد أداة الشرط، قوله [٢]:

فإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له شيء سوى الموت أنفع

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الثاني مع الحرف إنْ، لكنه قد فصل بينه وبين الأداة باسم مرفوع، وذلك جائز كما سبق.

ومنه أيضاً، قوله [٣]:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ودل عليه غيره فهو أحمق

قد جاء الماضي هنا أيضاً في الشطر الأول مع الاسم إذا، لكنه قد فصل بينه وبين الأداة باسم مرفوع، وذلك ضرورة كما سبق.

ولا يخفى أنَّ تقدم الاسم على فعل الشرط لم يكن عبثاً بل للعناية به وجعل السامع يلتفت لما يقال بعده في الشعر؛ لأنَّ الشعر صاحب الالتفاتات البديعة لما تضفيه على الشعر من رونق في التركيب والنظم.

(١) الديوان: فما دون سائل ربي حجاب ص٣٨

(٢) الديوان: الصبر ص ١١٥

(٣) الديوان: الأحمق من الناس ص ١٢٨، وانظر: ٩٢،١٠٩،١٢١،١٤٢،١٥٤،١٦٥،١٦٩.

أهم النتائج:

١-الإمام رحمه الله لديه القدرة الشعرية الفائقة على رصف المباني والمعاني واقتناص الألفـــاظ المعبرة في تراكيب مختلفة، تجذب السامع برونقها وما بها من دقة.

٢-الديوان غاص بالعدول عن الأصل القاعدي للغة.

٣- يتمثل العدول في المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي.

٤-استخدم الشافعي عدولاً لازماً، وعدولاً اختيارياً في مواضع عدة.

٥-العدول عنده لم يخرج عما خرج عنه شعراء العربية.

٦-عدوله في النحو أكثر من غيره.

٧-العدول في أسلوب الشرط أكثر من غيره في العدول النحوي.

٨-العدول الاختياري كان مرة يمارسه ومرة يأتي بالقاعدة على الأصل.

٩- الإمام الشافعي يتمتع بقوة لغوية، وحس لغوي وأدبي مرهف.

Linguistic in the Poetic Work of Imam Shafi'i

Dr. Slaam Abdullh Mhmood Ashoor

Abstract

Linguistic deviation occurs a lot in Arabic language. In some uses, it occurs either compulsory or non-compulsory.

The current study aims at exploring both types of linguistic diversions (compulsory and non-compulsory) in the poetic work of Imam Shafi'i.

It also discusses the phonetic, grammar and structure deviation and their effect on the beauty of the poetic structure and on the way of informing, surprising and attracting the audience.